# رِوَاءُ الرُّوحِ

© حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: رِوَاءُ الرُّوح
تأليف: إيمان علوان
مراجعة لغوية: رنا أبوالغيط
تصميم داخلي: سالم عبدالمعزسواح
النـاشـــــــر: دارالزيات للنشروالتوزيع

القـطـــــــع: 21X14
سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 19540 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 648 - 7

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-648-7

# رواء الروح

مجموعة

تدبرات قرآنية

إيمان علوان

إن الحمد لله، نحمده على نعمه العظيمة، وعلى آياته الجليلة، وعطاياه المديدة، وعلى قلوبنا المستنيرة، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وأما بعد..

في رحلتي في الحياة، مررت بتجارب مريرة، وخضت ظروفًا قاسية، تعلمت منها أن ألجأ إلى ربي أول ما يكون، وأن أهرع إلى القرآن أستأنس بآياته، وأتعمق في بحر معانيه، فأجد في كلماته السلوى، وألتمس في حروفه الراحة، فتهدأ نفسي ويطمئن قلبي وأنا أستشعر أن الله يكلمني، حتى أصبح لي في كل مصيبة آية تدبرتها، وفي كل

محنة خواطر كتبتها، حتى نسجت هذا الكتاب بخيوط من نور القرآن، وسطرته بحبر من وجع الأحزان، فإن أصبت فمن الله التوفيق والسداد، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، فلولا الله لما سطرت كلمة، ولا خططت حرفًا من هذا الكتاب، فله الحمد والمنّة.

عن قراء الإذاعة، بأي قلب كان يقرأ هؤلاء القرآن؟

**(ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا)**

فهنيئًا لهم الاصطفاء، وهنيئًا لهم التلاوات، أجور لا تنقطع إلى يوم القيامة.

أي منزلة سينالها هؤلاء؟

وأي درجة سيصلون إليها؟

انقطعت الحياة ولم تنقطع الأجور، ولم تنقطع الحسنات!

يا الله هبنا عملًا يدر علينا حسنات حتى بعد مماتنا.

يا رب

إن كنا نأسر من تلاوة إنسان

ونطير في ملكوت الجنان

ونحلق في سماءات النقاء

ونسبح في فضاءات الجمال

ونغوص في أعماق البهاء

وتستأنس أرواحنا وتهدأ اضطرابات قلوبنا، ويرتاح نبض أفئدتنا، وتتسع صدورنا، ونزهد في دنيانا، وتختفي أحزاننا، وترتسم البسمة على وجوهنا، إذا كان هذا تأثير الناقل من كلام ربه، فما الحال لو سمعناه من الله؟

ماذا سيحصل لقلوبنا؟

أي شعور يعادل هذا الشعور؟

وأي كلمات تصف هذا الحبور؟

وأي سعادة، وأي أمان، وأي سكينة، وأي طمأنينة، وأي هدوء، وأي راحة نشعر بها، وتغرق أحاسيسنا، وتفيض على أرواحنا أمنًا وسكنًا وراحةً وودًا وعطفًا ورأفةً؟

فاللهم ارزقنا سماع القرآن بصوتك

اللهم لا تحرمنا سماعه بصوتك بمعاصينا، ولا تحجب عنا قولك بأوزارنا.

يأنس الإنسان بترتيل سورة

أو تدبر آية

أو حفظ وجه جديد

أو كتابة آياتٍ بخط جميل.

أما البشر، فأغلبهم لا أمان لهم، ومعظمهم لا عهد له.

تعجبني ترتيبات الله

تسمع آية في محاضرة فلا تتجاهلها

فتهرع إلى تفسيرها

فتجد فيها رسالة من الله لك

يصف وضعك

يرمم جرحك

أعلم بك من نفسك!

أرأيت أحدًا أعلم بك من نفسك!

أرحم بك من أمك

لطيف بحالك

عليم بمصابك

من رتب لك الرسالة بهذه الطريقة، أتراه ينساك؟!

سيرتب لك جميل الأيام وأحلاها

اصبر فقط، هي بضعة أيام، والملتقى الجنة.

نقرأ الفاتحة ١٧ مرة يوميًا، لماذا؟

لأن الله يريد أن يتشرب قلبك معانيها

وأن تتغلغل داخل أعماق نفسك مفاهيمها.

معاني الجماعة: أنت لست فردًا، أنت داخل مجتمع (اهدنا)، (نعبدك)، (نستعين).

يعلم أنك ستُبتلى، وستُظلم، وربما يُنهب حقك ويُسرق مالك، وترى ظالمك في نعيم، حينها تقرأ

(مالك يوم الدين)

هناك آخرة، وهناك حساب، وليست كل الأمور تُحسم في الدنيا.

(اهدنا)

نقولها متى؟

ونحن في الصلاة

كي لا تغتر بنفسك، وتركن إلى عملك

ويبقى قلبك معلقًا بين الرجاء والخوف.

أحيانًا، في بعض المواقف التي توكل أمرك فيها لربك

يخبرك بهدوء:

انسحب تمامًا من أرض المعركة

واجلس مستريحًا على أريكتك، واحتسِ مشروبك اللذيذ

وسوف ترى حقك وهو يُؤخذ

وانظر وتأمل عدالة السماء:

(وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) [البقرة].

حين نجى الله موسى وقومه، وهم ينظرون إلى غرق فرعون، كان الله قادرًا أن ينجيهم من بطش فرعون بأن تأخذه صيحة أو ريح أو عذاب، ولا يراه بنو إسرائيل، ولكن الله قدّر أن يروه وهو يغرق شفاءً لغليلهم.

**(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)** [البقرة].

إذا الجزع كان قد حنَّ إلى النبي

وقال النبي عن جبل أحد:

(هذا جبل نحبه ويحبنا)

إذا كانت حتى الجمادات تحب وتحن، فما بال الإنسان قسى قلبه!

**قال تعالى: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" [البقرة: ١٠٢].**

إنَّ مما يدمي القلب، ويُبكي العين، وتَأن له الأرواح، هو أن يكيد لك أعداؤك من حيث لا تدري، فلا يستطيعوا!

يتصيدون هفواتك، فلا يتمكنوا!

ثم حين تُغلق في أبوابهم طرق هلاكك، يلجؤون إلى السحرة والمشعوذين، ليذيقوك ويلات العذاب، ويحرموك زفرات الهواء، ويفرقون بينك وبين الأعزاء، ليضيق عليك صدرك، وما هذا إلا كفر بالله، وضياع للدين، وتشريد بالأسر، وخراب للبيت، وهلاك للنفس.

**(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)** [البقرة].

دعوا الله أن يتوب عليهم بعد ما عملا عملًا غاية في العظمة، لأن العبادات تورث في القلب خضوعًا وذلة وانكسارًا، وتزرع تعظيم الرب في قلب العبد، فيدرك حقيقة عبوديته لله، ويعلم أن عبادته في أكمل ثوب بها لا تليق بالله، لأنه قدر الله حق قدره، فعلم حتى أنه لن يستطيع أن يوفيه حقه، ولهذا بعد انتهائه من كل عبادة يلوج بالاستغفار لربه من عبادته، لأنها لا تليق بجلاله.

**{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ}**

ليست كل الأماني تُقال، وبعض الدعوات لا تُنطق، ولكن القلب معقود بها.

بعض الأمنيات تظل بين طيات صدورنا، وتعجز عن نطقها ألسنتنا، فيا رب، كما أجبت نبيك بلا دعاء، أجب دعواتنا المحبوسة في أرواحنا، وحقق رغباتنا المأسورة في قلوبنا.

**{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**

في أحيانٍ كثيرة يكون الموت رحمة، وضيق اللحد أبرح من دُنيا ظالمة، وضمة القبر أحن من بشر قاسية، والملكان مؤنسين عن صحبة كاذبة، وعملك الصالح خير من رفقة منافقة، ونعيم القبر خير من لذات فانية.

في أوقات كثيرة يكون خروج الروح حياة، وظلمة اللحد نجاة، وانقطاع النفس سعة.

**{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة].**

**قال تعالى:**

**{يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: ٢٨].**

لا تحزن، ولا تيأس من روح الله، ولا تتضجر من قضاء الله، فالذي خفف عنك الأحكام، وكلفك ما تطيق، والذي يسر الدين بالرخص الشرعية، أتراه يضيق عليك الحياة بالبلاءات، أم يعذب قلبك بالامتحانات، أم يقطع أوصالك بالمصائب؟

صبرًا على البلاء وإن أوجعك، وصبرًا على الهم وإن أزعجك، ورفقًا بقلبك، وكفاك جلدًا لنفسك، فالله سبحانه يريد التخفيف، فخفف عنك وجع الأحزان.

**{وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}**

ليس شرطًا أن تكون كل الأرزاق ملموسة، فهناك أرزاق خفية؛ كصديق قديم لم ينسَك، يدعو لك بقلب صادق أن تنكشف كربتك وتنجلي محنتك، أو سجدة تقربك من ربك، أو كآية يفتح بها الله عليك ما لا يفتحها على غيرك، أو لذة مناجاة ودعوات ترفعها بقلب صادق، أو ترتيل آية بصوت ندي، أو كوب شاي باللبن دافئ تهنيء به منفردًا، أو كصديق يرسل لك رسالة عقب أحداث أنهكت روحك ليواسيك.

**(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)**

فهم خاطئ لمن يظن أن الله لا يكلف الإنسان البلاء إلا ما يطيق، ولكن أغلب المفسرين على أن المعنى أن الله لا يكلف نفسًا فوق وسعها في العبادات، وأما البلاء فهذا موضوع آخر، فهناك خطوب تفوق وسع الإنسان، ومصائب تغلب صبره، وهناك بلاءات يتمنى الإنسان عندها الموت، ولهذا كان النبي يتعوذ من جهد البلاء.

وجهد البلاء: هو أقصى ما يبلغه الابتلاء، بأن يُصاب حتى يتمنى الموت.

وهناك اختبارات تزلزل كيان المرء.

**(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ).**

وهناك ملمات تبعثر الوجدان، وتهد الأرواح، وتميت القلوب، وتصدع جدران النفوس، فاللهم أحيِ ما مات فينا من شعور.

**{وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة]**

يا رب، ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، فينطفئ شعورنا، وتبهت ملامحنا، وتتبلد أحاسيسنا، وتظلم أرواحنا، وتخبو همتنا، يا رب، فلا تحمل قلوبنا ما لا تطيق، ولا تكلف نفوسنا ما لا تقوى، يا رب، وإن خارت قوانا، وإن ضعفت أرواحنا، وإن زلزلت أجسادنا، وإن دُمِّرت أحوالنا، جدّد طاقتنا، وعوضنا العوض الجميل الذي ينسينا مر الأيام، وأخرجنا من ضيق نفوسنا إلى سعتها.

**قال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [آل عمران: ٣١].**

يا رب، أي فضل هذا، وأي كرم هذا؟ البشر في الدنيا يحبون على قدر مصالحهم، وربما يتملقون لأجل قضاء حاجتهم، ثم بعد ذلك يبغضونك، ومن ويلات الغدر يذيقونك. أما الله، فحبه مختلف عن سائر الموجودات، الله إذا أحببته وسرت على سنة نبيه، واتبعت نهجه، أحبك وغفر لك ذنبك، هكذا بكل بساطة، بدون تعقيدات أو فلسفات أو مصالح.

ما الذي سيعود على الله إن أحبك؟ لا شيء، فهو الغني عنك! أرأيت إلهًا يحب عباده ويغفر لهم ذنوبهم إن هم أطاعوه، ولهدي نبيه اتبعوه؟

**قال تعالى:**

**"هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ" [آل عمران: ٣٨].**

لا تجعل كل همك من الذرية اللعب معها، والأنس بها، والتباهي أمام الخلق بالكثرة أو بالشهادات

بل سل الله أن يهبك ذرية طيبة

طاهرة الأخلاق

طيبة الآداب

يعود عليك خيرها في الدنيا بالذكر الحسن

وبعد الموت بالدعاء له (أو ولد صالح يدعو له)

وفي الآخرة بالشفاعة:

**(جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم).**

**قال تعالى:**

**"قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" [آل عمران: ٤١].**

منع زكريا من الكلام

ولم يمنع من الذكر.

منع زكريا من الكلام

ولم يمنع من الدعوة.

أما نحن، فمنعنا أنفسنا من الذكر والدعوة، واشتغلنا بالكلام، والقيل والقال، والغيبة والنميمة، والسب واللعن، وقص الأباطيل، ورواية القصص، وإشاعة الفحشاء، ونشر البغضاء.

**قال تعالى: "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" [آل عمران: ١١٥].**

الله أرحم من أن يراك تسعى ويبخسك حقك، الله ألطف من أن يراك تهرول ويطفف جهدك، الله عليم بمحاولاتك وإن أنكرها من حولك، الله خبير بمثابرتك وإن كفرها قومك، الله يرى تضحياتك وإن بخسها غيرك، الله يبصر اجتهادك وإن جحدته عشيرتك.

الله يعلم أنك لم تقصر ولم تتوانَ ولم تبخل جهدًا ولم تَضِنَّ سعيًا ولم تؤخر قدمًا وتقدم أخرى، الله رآك وأنت تركض لاهثًا ساعيًا صابرًا محتسبًا، الله يعلم عدد دقات قلبك وعدد رجفات فؤادك وأنت تسعى، يحصيها عليك ويثيبك عليها دقة دقة، كل دقة خوف يثيبك عليها، كل محاولة سعيت لأجلها يثيبك عليها، العليم يحصي عدد دمعاتك دمعة دمعة، يجازيك عليها.

(وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان).

**قال تعالى: "إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" [آل عمران: ١٢٠].**

**قال تعالى: "إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ" [التوبة: ٥٠].**

عاشرت بعضهن

تلك التي إذا رأت مصابك لم تستطع مواراة ضحكاتها

وإذا رأت مسرّاتك لا تقدر أن تواري حزنها.

**قال تعالى: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: ١٥٣].**

من بلاء إلى بلاء، ومن مصيبة إلى أخرى، ومن بلية لأعظم، تنزل على قلبك الابتلاءات تترى، وتتواتر الرزايا على روحك جمعًا، تظن أنك مبغوض ومن الرحمة مطرود، وأنت مسكين لا تعلم أنك مرحوم ومن العذاب مصون.

فالبلاء مكتوب والمصاب مقدور، ولكن من رحمته يبتليك بفراق صديق فتحزن، ثم ما تلبث أن يموت قريب فتنحر، ثم ما تلبث أن تودع حبيب فتأسف، ثم ما تلبث أن تمرض مرضًا جسيمًا فتضعف، ثم ما تلبث أن تُخذل خذلانًا مريرًا فتأسى.

تظن أن هذه بلاءات، وإنما هي رحمات تنزل على قلبك تباعاً، وتهطل على قلبك لتنسي بعضها بعضاً، فلا يتم حزنك على مصاب، ولا تغرق في عظيم عناء، فينسيك موت الأحباء فراق صديق عاش، وينسيك وجع الأجسام خذلان الأحباء.

**قال تعالى:**

**"وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"**

**[النساء: ١٠٠].**

(ومن يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)؛ سر في طريق الخير حتى وإن لم تصل ولم تدرك غايتك، وإن مت فأنت لك الأجر كاملاً.

ابدأ رحلتك في حفظ القرآن حتى وإن مت قبل ختمه، فمت على الطريق، ولك إن مت أجر من حفظ القرآن كاملاً.

**قال تعالى:**

**"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"**

**[الأنعام: ١٦٢].**

محياي، استشعر أن جل ما تقوم به في حياتك هو لله خالصًا، ليس فقط في العبادات، بل عند قيامك وجلوسك، وعند تناولك كأس الماء لتشرب، وعند جلوسك لتناول الطعام، وعند دراستك وعند عملك وعند راحتك، وعند قيامك بأعمال المنزل، وعند تربية أبنائك وعند استيقاظك ونومك، عند كلامك وسكوتك.

أعدد أنفاسك نفسًا نفسًا وقل: "ها لك يا رب، أنت وهبتنيها أولاً، وهديتني لطريقك ثانياً، ووفقتني لعبادتك ثالثًا، ثم هي لك يا رب خالصة، لك من رياء وسمعة وجاه".

**قال تعالى: "سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ"**

**[الأعراف: ١٨٢ / القلم].**

يظن الإنسان أنه إذا ملك الدنيا انتصر، ويتوهم أنه إذا خدع غيره فاز بالحرب، ويعتقد أنه حين يأكل حق غيره أدرك الجنة، زين له الشيطان ظلمه وأضله عن سبيل الله، ويظن إمهال الله له محبة، واستدراجه له عزة، فيزيد ظلمًا وطغيانًا لتزيد ذنوبه، ولا يعلم أن الله يمهله لتكثر آثامه وأوزاره، فيأخذه أخذ عزيز مقتدر.

أيها الإنسان المغرور، أما علمت أن هناك قبرًا شديد الظلمة ستكون فيه وحدك، لا أنيس فيه سوى عملك الصالح؟! أتظن أنه لو بسطت لك الدنيا فقد فزت؟!

**{حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} [التوبة]**

الهج بها في كل محنة، ورددها عند كل فقد، وكررها عند كل خسارة.

سيؤتينا الله من فضله فخزائنه ملأى، والله يدعونا إلى حسن الظن به.

سيعوضك الله عن فقدك، وسيجبر الله لك كسرك، وسيعوضنا الله عن الرزق الذي ضاع، والأحلام التي فقدت.

(من فضله) لم يحدد لنا مقدار الفضل، ولم يعلمنا بالتوقيت، قال: سيؤتينا الله من فضله... فقط.

متى؟ كيف؟ الله أعلم.

وإذا أخفى الله شيئاً فلحكمة.

**قال تعالى: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ} [التوبة: ٩٢].**

عجزوا عن أن تسيل دماؤهم في سبيل الله، فسالت دموعهم حزنًا وكمدًا وألمًا وشوقًا، شوقًا أن يبذلوا أرواحهم فبذلوا قلوبهم، فتقبلها الله وكانت بمنزلة من جاهد بدمه وتاجر بروحه وحارب بماله.

قال الإمام ابن كثير: في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا، ولا سرتم سيرًا إلا وهم معكم»، قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «نعم، حبسهم العذر».

فالصحابة – رضي الله عنهم – ضربوا أروع الأمثال في الحرص على الجهاد والاستشهاد، وأن أعذارهم الشرعية لم تمنع بعضهم من المشاركة في القتال.

فهذا عبد الله بن أم مكتوم، وكان يخرج إلى غزوة أحد ويطلب أن يحمل اللواء. وهذا عمرو بن الجموح – وكان أعرج – يخرج في مقدمة الجيوش، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد عذرك»، فيقول: «والله لأحفرن بعرجتي هذه الجنة» أي لأتركن آثار أقدامي فيها.

**{حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة].**

لعل الضيق الذي يعتصر قلبك، والهم الذي يختلج صدرك، والحزن الذي يؤلم روحك، والهم الذي يهز وجدانك، والوحشة التي تعتري نفسك، لعل كل ذلك يحتاج إلى توبة.

لعلك طرقت الأبواب فوجدتها جميعها مغلقة، لعلك لجأت إلى الأحباء فوجدت قلوبهم منكرة!

لعل الله أغلقها لتعلم أنه ليس لك ملجأ غيره، ليقطع تعلق قلبك بغيره، ويعلق قلبك به وحده، لتوقن تمام اليقين أن نجاتك بيده، وحياتك بأمره، وسعادتك في قربك منه.

ثم تاب عليهم ليتوبوا، الله يدعونا جميعًا للتوبة، تاب عليهم في تخلفهم، وسيتوب عليهم في المستقبل.

الله يعلم أسرار النفوس، أوليس هو الذي خلقها؟ يعلم أن الإنسان سيقع في الزلل لا محالة، لذلك قال حتى وإن عصيتم مجددًا، فالله تواب، كثير التوبة، وليس كالبشر.

إذا أخطأت في حق إنسان وعفا عنك مرة فلن يعفو عنك أخرى، فالإنسان قدرته على العفو محدودة، وطاقته على التسامح محصورة.

أما الله، فكم من ذنب أذنبناه والله تاب عنه، وكم من ذنب سنذنبه والله سيتوب علينا.

فلا تيأس إذا وقعت في الذنب، ولكن إياك أن تستبيح الذنوب، فمجرد ذنب: ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم بذنب واحد، فما بالك بمن غارق في الشهوات، أسير للذات، لاهٍ عن الطاعات، تاركٌ للصلوات، مفوّتٌ للجماعات، منقادٌ لهوى النفس، سجين للشيطان! كيف حاله؟

وما كان إلقاء إبراهيم في النار إلا لقوة حجته ووضوح بينته واستفحال عجزهم ووهن عقيدتهم وعطن مذاهبهم.

وما كان قتل قابيل لهابيل إلا لأنه الأتقى والأنقى والأقوى والأزكى والأخشع والأطهر:
{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

وما كان استهزاء قوم نوح منه عند صناعة السفينة إلا لجهلهم وغرورهم وعنادهم وكفرهم.

وما كان ضياع الجنتين من صاحبهما إلا لغروره وزهوه وكفره وجهله وظلمه.

"عتاب الندل اجتنابه" _ هذا مثل شعبي.

**وقال الله تعالى:**

**{قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ}.**

وتجده في القرآن بجميل العبارة، وفصيح البيان، ورقي الألفاظ، وبيان المعاني.

فسيدنا يوسف، إخوته آذوه

وفي الجب رموه

وعبدًا بثمن بخس باعوه

ومن دلال أبيه حرموه

وعن حضن أخيه أبعدوه

وفي الغربة نفوه

ومن بيته طردوه

وعن وطنه غربوه

وبالسرقة اتهموه

وقلب أبيهم عليه كمدوه.

ورغم هذا أسرها يوسف في نفسه، وأخفاها بين طيات قلبه، وكتمها بين جوانح صدره، ولجمها بين حروف لسانه، بل زاد أن لم يبدِ لهم أساه، ولم يظهر لهم غمه، ولم يبين لهم حزنه، بل ابتلع غصة قولهم في صمت، وكظم شنيع تهمتهم في سكوت.

فبعض العتب لا طائل من ورائه، ولا فائدة ترجى منه، ولا غاية فيه سوى إيغار الصدور، وإخراج شنيع ما في النفوس، وتجليه كرهك في القلوب، وإظهار العناد في العقول، وتبيان قصد أذاك وجرحك.

فدع من ظلمك، واترك من قال عنك ما ليس فيك، واهجر من آذاك، وإياك والعتب، فإن العتب مفسدة للقلب.

وقلها في نفسك:

**"أنتم شر مكاناً"**

وحسبك قولك:

**"والله أعلم بما تصفون".**

**قال تعالى: "قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" [يوسف : ٧٧]**

"وعين البغض تبرز كل عيب"

هناك أناس يرونك جميلاً تأسر العين، وروحك آسرة تخطف القلوب، متميز في فعالك، خفيف الظل، ذو أدب جم، يعلمون أنهم مهما فعلوا لن يصبحوا مثلك، فيمتلأ قلبهم كمدًا وغيظًا، وتشتعل نفوسهم بغضًا وحقدًا، فيبرزون مساوئك وإن ندرت، ويكثرون من ذكر عيوبك وإن قلت، ويرددون أخطاءك وإن شحت، ويأنفون عن ذكر محاسنك وإن كثرت، ويلفقون لك تهم لم تفعلها، ويحيكون لك جرائم لم ترتكبها، وكل ذلك ليشوهوا صورتك ويقبحوا منظرك ليكرهك الناس ويبغضك الجميع.

ولو نظرت إليهم لوجدتهم هم الأقبح روحًا، ولو عاشرتهم لوجدتهم هم الأسوأ قربًا، ولو جالستهم لكانوا هم الأبغض قلبًا، لو حادثتهم لوجدت عيوبهم تنضح بها ألسنتهم، مؤنسهم الفحش والتفحش، حبيبهم الفسق والفجور، صديقتهم المقربة الغيبة والنميمة.

**(وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ) يوسف**

قلها لنفسك عندما تكون على حافة الهاوية

وصبر بها نفسك عندما تكون على وشك الانهيار

وقوِ بها عزمك حينما تكون على وشك الانهزام.

**{قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ}** الأنعام

قلها لنفسك حين تضيق بك الدنيا وتعصف بك الحياة، وتتجرع من خذلانها، وتأسى من مرارتها، وتبكي من حسرتها.

**{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}**

البعيد عن العين بعيد عن القلب، من قال؟

رحل يوسف منذ سنين، وما زال قلب أبيه به معلقًا، وما زال لسانه باسمه مرددًا، وما زال يوسف رغم غيابه في ذهن أبيه حاضرًا، لم ينسه في لحظة، ولم يفتر عن تذكره حتى أوشك شعوره أن يصير باليًا، فتك به الحزن حتى أوشك أن يصير هالكًا، ومن أسفه على حزنه ابيضت عيناه.

هكذا بعض البشر كيوسف، لا نقوى على فراقهم، ولا نستطيع تحمل ابتعادهم، ولا نثبت عند رحيلهم، ولا نتمكن من وداعهم، ولا نجرؤ على اعتزالهم، ولا نطيق ذهابهم. اللهم رد كل فقيدٍ لأهله.

(كل الناس يعوضون) من قال؟

رحل يوسف وترك لأبيه أحد عشر أخًا، أحد عشر أخًا لم يُنسوا يعقوب غياب يوسف، هكذا بعض البشر كيوسف، لا ينساهم القلب وإن طال الهجر، تظل مكانتهم محفوظة وإن غابوا عنك طويلاً، وإن كثر الناس حولك.

**{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}**

**{وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}**

**{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}**

**{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}**

ختم بها سورة النمل وهود، تسلية الله لنفوسنا وطمأنته لقلوبنا، فهو عليم بمن ظلموك، بصير بفعالهم، خبير بصنيعهم، مطلع على أعمالهم، وشهيد على خبثهم، لا يعزب عنه مثقال ذرة من شنيع مكرهم، الله ليس بغافل عمن يلفق لأجلك التهم ويرميك بما ليس فيك، وسيجازيهم ولن يتركهم.

كما قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً * فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما يخفى عليه يغيب

**قال تعالى:**

**{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}**

**[الحجر: ٧٢]**

والله إن للذنب لسكرة تُذهب العقول، وتَأخذ الألباب، وتُعمي البصيرة، ويتحير معها الفكر، ويتجمد بها الخاطر، ويشرد بها الذهن، وتُطمس بها الفطر السليمة، ويُظلم بها الفعل، فلا تفيد مع هذه السكرة نداء، ولا ينفع معها صيحة، ولا يجليها تذكرة، ولا يمحوها نداء.

ابن القيم: المعاصي تفسد العقل، فإن للعقل نورًا والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، وإذا طُفئ نوره ضعف ونقص. وقال بعض السلف: ما عُصي الله لأحد حتى يغيب عقله، فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية، وهو في قبضة الرب وتحت قهره، وهو مطلع عليه، وفي داره، وعلى بساطه، وملائكته شهود عليه، ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم؟

قال ابن القيم:

ومن عقوبة المعاصي أنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل، فلا تجد عاقلين أحدهما مطيع لله والآخر عاصي، إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصح، ورأيه أسد، وكيف يكون عاقلاً من يعصي من هو في قبضته وفي داره، وهو يعلم أنه يراه ويشاهده، ويستعين بنعمه على مساخطه، ويستدعي كل وقت غضبه عليه ولعنته له، وإبعاده من قربه، وطرده عن بابه، وإعراضه عنه، وخذلانه له، والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه، وسقوطه من عينه، وحرمانه حبه ورضاه، وقرة العين بقربه، والفوز بجواره، والنظر إلى وجهه، فأي عقل لمن آثر لذة ساعة ثم تنقضي كأنها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم.

**{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} الحجر**

أبعد كل هذا تتطلع إلى بيوت فارهة لا يتلى فيها القرآن، ولا يُذكر فيها الله، أبعد كل هذا تغتر بمن أعطاهم الله الدنيا مبسوطة، وأخذ منهم الآخرة، غارقون في الملذات، وساهون عن الطاعات.

أبعد كل ذلك تحزن على دنيا ضاعت، أم أماني لم تتحقق، ورزق فقد، وأحلام ذهبت أدراج الرياح؟ انفض عنك غبار الدنيا وعلائقها المادية، وانعكف على القرآن، ورتل آياته، وتدبر معانيه، وانهل من فيض علمه، والتمس من أنواره، وطمئن به قلبك، داوِ به جسدك، ولا تنسَ نصيبك من السماع، فإذا أردت علاجًا فعالاً لتعلقك بالدنيا ومد بصرك لرزق غيرك، فعليك بالقرآن، يداوي الروح المتعبة من مدها النظر فيما عند غيرها.

**(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)**

**(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)**

أحيانًا لا تعلم شقاء ما أنت فيه، وبؤس ما تعانيه، إلا بمعرفتك ما عند غيرك وعلمك بترفه ونعيمه.

قال محمد بن المنكدر: إني خلفت زياد بن أبي زياد وهو يخاصم نفسه في المسجد، يقول:

اجلسي، أين تريدين تذهبين؟

أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟

تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان؟

مالك في الطعام إلا هذا الخبز والزيت، ومالك في الثياب إلا هذان الثوبان، ومالك في النساء إلا هذه العجوز.

أفتحبين أن تموتي؟ قالت: أنا أصبر على هذا.

**{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا}**

يتجول الإنسان في نواحي الدنيا

ويتنقل في مدن العالم

ويسافر في الأمصار

ويجوب أنحاء البلاد

ويضرب في الأرض سعيًا للرزق

وفي النهاية لا يجد مستقرًا إلا في بيته

ولا سكنًا إلا في منزله

ولا أمانًا إلا في حوائط داره

ولا راحة إلا في سريره الدافئ.

لا فرق هنا بين من يعيش في قصر أو في كوخ، كل البيوت سكن، فارضَ ببيتك وأهنأ بمنزلك، وهذا من نعم الله علينا التي يستوجب علينا شكره عليها.

**{وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل**

فأحسن عملك

وراقب قولك

وهذّب جوارحك

ورقّق قلبك

فستسأل عن عملك

وستحاسب عن سعيك.

حينما تلتف حول قلبك الهموم

وتخنق روحك الغموم

وتهزمك سوء الظنون

حينما تضل السبيل

وتشرد عن الطريق

حسبك القرآن

ففيه الهداية من كل زيـغ

والرحمة من كل شر

والبشرى بعد كل سوء.

**(وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)**

فإذا كنت تبحث عن الرحمات في زمن القسوة، فاهرع إلى القرآن

وإذا أوجعتك الأحزان وآلامك الخذلان، فعليك بالقرآن

وإذا ظلمك الناس وقسى عليك الأحباب، فعليك بالقرآن

التمس فيه الرحمة والإحسان.

## (أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا) الإسراء (٢)

• إذا توالت عليك المحن وتتابعت عليك الخطوب، فاهرع إلى ربك أول ما يكون، ولا تكثر من قرع أبواب موصدة، ولا تلجأ إلى قلوب مغلقة.

• اجعل الله لك وكيلاً في كل الأمور، صغيرها وكبيرها.

• تخيل أنك ظُلمتَ وقمت بعمل توكيل لأفضل محامٍ بكل ثقة، أو حينما توكل أقرب أقربائك على كل شؤونك بكل ثقة!

هذه المرأة وكلت زوجها على أموالها فخان وسرق، وهذه وكلت أخاها على ورثها فخان ونهب.

إذاً، اجعل الله وحده وكيلك في كل قضاياك، واجعله ناصرك في كل مناحي الحياة.

• في أي قضية خسرتها في الدنيا، لعلك إلى غير الله لجأت، وبغير الله لذت واحتميت، فوكلك الله إليه وترك عنك نصرته، ليلقنك درساً في العقيدة أن لا تجعل مع الله شريكاً تعتمد عليه، ونصيراً تنتصر به.

**(لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا)**

**(فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) الإسراء**

وعد الله الذي لا يُخلف

وسنته التي لا تتبدل

والحقيقة الثابتة التي لا تتغير، أنه مهما اشتدت ظلمات الظلم

ومهما طال ليل الجور

ومهما علا عويل الفجار

ومهما تجبر المتجبرون، وعتى المفسدون، فلا بد أن يسلط الله عليهم من هو أشد منهم بطشًا

ولا بد أن يمحو نور الحق ظلام الباطل

ولابد لضياء الحق أن يسطع عالياً وينقشع غبار الظلم.

**قال تعالى:**

**{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}**

**[الإسراء: ٦]**

إذا هزمك أعداؤك، واستطال بلاؤك، واشتدت كربتك، واسود ليلك، وتطاول عليك غرماؤك

فاهرع إلى الله، وتب إليه، واستغفره، واستنصر به، يزدك قوة، وينصرك عليهم، ويمددك بمال وفير، ويشد عضدك بنفر كثير.

**قال تعالى:**

**{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا}**

**[الإسراء: ١٩]**

ليست العبرة بمن أراد!

فمن أراد سعى

وليست العبرة بمن أراد وسعى!

ولكن لا بد لسعيه أن يكون لائقًا بها

وليست العبرة بمن أراد وسعى لها سعيها!

ولكن العبرة بمن أراد وسعى لها سعيها وهو مؤمن، وقلبه معقود بالإيمان، وروحه مترعة بالتوحيد، وصدره مليء باليقين، ونفسه مطمئنة بالله.

**(وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) الإسراء**

فلا تيأس من طلب خير تريده

فعطاء الله ليس خاصاً بالصالحين فقط

سبحانه الرزاق

يرزق حتى الكافر وهو يسبه

يرزق المشرك وهو يدعو معه إلهاً غيره

يرزق الملحد وهو لا يعترف بوجوده أصلاً.

سبحانك ما أكرمك.

**(وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) يونس**

**{وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} الإسراء**

**(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا) فاطر**

لا يستطيع أحد، مهما بلغت سلطته، واشتدت قوته، وعلا نفوذه، وكثر ماله، وطغى بحاشيته، أن يمنع عنك رزقاً قدره الله لك، أو يحظر عنك قوتاً كتبه الله لأجلك، أو يمسك عنك رحمةً أرسلها الله لأجلك، أو يرد عنك فضلاً أنزله الله عليك.

"فاللهم لا مانع لما أعطيت".

**قال تعالى:**

**{لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا}**

**[الإسراء: ٢٢]**

من تعلق بغير الله، ووضع أمله في غير الله، ورسم أحلاماً في أشخاص، وفعل المستحيل ليرضي أناسًا في مقابل معصية الله، فلا بد أن يخذلوه في أشد وقت للحاجة إليهم، ولا بد أن يذموه في أحلك أوقاته، فليكن أملك وسعيك لله فحسب، ولا تعصِ ربًا لترضي مخلوقًا.

**{وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا}**

**[الإسراء: ٥٢]**

فلو طال بك الكرب، واشتد عليك الغم، وانهمرت عليك المصائب، وتوالت عليك الرزايا، واجتمعت عليك البلايا، لا تيأس واصبر، فالدنيا صبر ساعة، ثم يوم القيامة يكون هناك جبرًا وعوضاً عن جميل صبرك، فماذا يساوي عمرك في الدنيا وإن طال في مقابل الخلود؟

**قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا () أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا" [الكهف : ٣١]**

• وكانت كلما ضاقت أتذكر الجنة، وأصبر نفسي وأواسيها: هب أن بلاءك هذا مهر الجنة.

• فلعلك بذلت جهدًا لتنجح، ولكنك فشلت!

لعلك تعبت كثيرًا لأجل إتمام علاقة، ولكنها انتهت!

لعلك لم تنل حلمك رغم حرارة سعيك!

لعلك أضناك جريك وأنهكك كدك، ولم تصل بعد لوجهة آمنة.

ولربما أرهقتك الآمال وأعيتك الأحلام، ولم ترنو بعد إلى هدفك.

لا عليك، إن ضاعت جهودك في الدنيا، فهي محفوظة في الآخرة في جنات عدن.

فسعيك يصاغ على هيئة أساور من ذهب، وجهدك يحاك على صورة ثياب من حرير، وتعبك يصنع في هيئة سرائر مريحة، وجدك يُبنى في هيئة غرف مبنية.

فلا تحزن، فهذا مهر الجنة، بلاءات يسيرة ودنيا فانية، مقابل جنات خلد دائمين فيها، نأكل أشهى الطعام ونلبس أحلى الثياب، ونرتاح في أحلى السرائر.

**(وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) الكهف.**

والله إن لي لسانًا بألف سوط

وكلمةً بألف حجة

ولو تكلمت لأسكت الجميع

فحجتي بينة وكلامي موزون، ولكني في بعض الأوقات أرى أن الصمت أعظم مكسب، والسكوت أفضل مغنم، والكظم أجمل مربح، والعتب في بعض الأحيان استنزاف للروح، غم للنفس، حسرة على القلب.

قال ابن عمر: (لن يصيب رجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو يعلم أنه صادق، ويترك الكذب في المزاح).

**قال تعالى: "قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا" [الكهف: ٧٨].**

إذا أردت الفراق ونويت الاهتجار، فلا بأس، فالروح يومًا عن النفس تفارق، والنفس يومًا عن الدنيا تغادر، ولكن بين أسبابك، وابن ذرائعك، وأجلِ حججك، ولا تدع أخاك المسكين مجبورًا أن يسأل نفسه كل ليلة: ماذا فعلت؟ وأي جرم اقترفت؟ وأي سوء اجتنيت؟

قل بربك: كيف يطوي سنين من العشرة في غمضة عين؟!

هذا سيدنا الخضر عاش مع موسى بضعة أيام، ورغم هذا للعذر أبان، وللحجج أفاض، فكيف الحال بمن كانت عشرتهم أعوام، وصحبتهم سنين طوال؟

أنطوي صفحات الأوقات، ونمزق جميل الذكريات، ونحذف الصور التي جمعتنا، والرسائل التي كنا بها نتصبر؟!

**"قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" الكهف.**

وأنا إن تمنيتُ شيئًا، فأتمنى أن لا أغتر بعملي على قلته، ولا بقلبي على قسوته، ولا بفعلي على قبحه، ولا بكلامي على سوءه، وأتمنى أن لا أكون ممن يظن أنه يحسن صنعًا، ونهاية سعيه ضلالاً، وآخرة عمله خسرانًا.

**قال تعالى:**

**"فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا"**

**[مريم: ٤٩].**

كم من عطايا تأتي بعد عزلتك عن الكفر وأهله، كأن الكفر شؤم يبتلع الخير!

وكم من منح تنهمر عليك بعد رحيلك عن أهل الضلال، كأن للمعاصي لهيبًا يحرق الرزق، وكأن الذنوب وباء يقفر الأرض.

**قال تعالى:**

**"وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى" [طه: ١٣].**

**"وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي"**

**"(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)"**

أي حب هذا وأي عناية هذه! كيف تلقى موسى هذا الحب؟ وكيف نام ليلتها؟

هنيئاً له اصطفاء الله، واصطناع الله لنفسه.

لتسقط كل تعاريف الحب، ولتبقى (واصطنعتك لنفسي) من الله لموسى، خالدة باقية.

**{وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي}**

**الشعراء: ١٣.**

يضيق صدري، ويقل هدوئي، وأفقد سلامي، وتذوب لفائف قلبي، وتتفاقم حيرتي، ويشتد أسفي، ويتكاثر همي، ويتضاعف غمي، ويتعاظم وجعي، فيختنق نفسي، وتثقل عليَّ نفسي، وينحبس لساني، فتتعثر كلماتي.

**قال تعالى:**

**"قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ"**

**[الشعراء: ٥٠].**

آمن سحرة فرعون منذ دقائق، ولكنه كان إيماناً راسخاً في قلوبهم، إيماناً انعقدت به أرواحهم، وسمت به نفوسهم، وارتوى منه فؤادهم، فهان عليهم كل صعب، واستسهلوا كل بذل، وهانت عليهم الدنيا بمصائبها وبلائها ورزاياها، فعندما هددهم فرعون منكلاً، قالوا: لا ضير، لأنهم أدركوا حقيقة الدنيا مبكرًا، وأدركوا أن عذابها مهما اشتد يهون إذا قوبل بنعيم الجنان.

هناك نوع من أنواع الظلم لا تستطيع فعل شيء أمامه، غير أنك توكل أمرك لله.

لا تعاتب، لأن المعاتبة في كثير من الأحيان ترهق الروح، وتستنزف الطاقة، وتتعب القلوب، فنعم من آذاك غالبًا يعلم بشاعة فعله وسوء صنيعه، فلا داعي لعتاب لا طائل من ورائه، فلن يعترف بخطئه، ولن ينوء بإثمه، بل سيماطل ويراوغ ويلاوع، بل ربما ستتحول من مظلوم إلى ظالم، ومن مصيب إلى مخطئ، وسيحاول جاهدًا إبراز عيوبك، أو ربما يصمت، أو ربما يناقض كلامه بعضه البعض، مما يودي بما تبقى من عقلك.

المهم لا تنجرف:

**{وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} الأحزاب.**

**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}**

**فاطر: ١٥.**

استشعر فقرك واحتياجك وعوزك إلى الله، فلذ إليه بقلبك وعقلك وعملك، وإياك ثم إياك الاغترار بنفسك وعملك، فلولا الله لكنت من الضالين، ولولا الله لكنت من اللاهين اللاعبين.

إياك أن تصلي ويكون في قلبك مثقال ذرة من عجب أو كبر أني أصلي باجتهادي، استشعر فقرك، فلولا الله لما صليت، ولما ركعت، ولما قمت ولا سجدت.

فنرى كثيرًا، اتكال الإنسان على نفسه، وغروره بعمله، وافتخاره بسعيه: لولا ذكائي ما نجحت وتفوقت، لولا الطبيب لما شفيت، لولا الدواء لما برئت، لولا مالي لما تزوجت، لولا جاهي لما عملت، لولا المنبه لما استيقظت!

يا جاهل... بل قل: لولا الله لما وُجدت، لولا الله لما آمنت، لولا الله لما وُفقت، لولا الله لما أبصرت ولا سمعت، لولا الله لما سجدت سجدة، لولا الله لما سبحت تسبيحة، ولا رتلت آية.

فأنا العبد الفقير الذليل، والله هو الغني عني، وعن ملأ الأرض مني.

**علام الحزن يا رفيقي؟**

فأنت إما متروك، وإما تارك

إما مختارًا، وإما مجبرًا.

سيأتي اليوم الذي ترحل فيه شئت أم أبيت

ستودع كل ما تملك

وستترك كل من تحب بدون وداع.

ملابسك التي جمعتها دهرًا

بيتك الذي أفنيت عمرك لأجله

أصدقاؤك الذين كنت تستأنس بهم

أحباؤك الذين ضحيت كثيراً لأجلهم

أبناؤك الذين بذلت صحتك لهم ليكبروا

كل شيء وكل شخص ستتركه وترحل، فمن عاش يومًا مات، ومن عاش ألفًا مات.

**(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)**

**قال تعالى: "الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" [غافر: ١٧].**

فلا تحزن... غدًا لك لقاء مع من ظلمك في الآخرة، ونهب حقك، ودمر حياتك، وآذى قلبك، وشتت أمرك.

صبر بها نفسك حين تضطرب، وطمئن بها فؤادك حين يضيق، وثبت بها روحك حين تميل، وسكن بها رجفة قلبك، وهذب بها دقات قلبك، وأمن بها احتجاج وجدانك، فقضيتك مؤجلة ليوم لا ظلم فيه.

فليست كل القضايا تحسم في الدنيا، هناك قضايا الحكم فيها لله يوم القيامة، وكفى به حكمًا لن تُظلم، وستوفى حقك كاملاً ممن ظلمك، ممن أوجع قلبك، وخرب عليك دنياك، ربك عدل حكيم، من آذاك لابد وأن يُحاسب على أذيته، ومن ظلمك لابد وأن تُقتص من ظلمه، ومن خدعك لابد وأن تأخذ منه حقك.

حقيقة لا يدركها الغافلون...

لا ظلم اليوم، ولا محسوبيات، ولا واسطات، ولا حقوق تُنهب بالكذب، ولا تلاعب بالكلمات، ولا شهود زور، لا ظلم اليوم.

**قال تعالى: "وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ" [الشورى: ٢٧].**

خبير بحالك، بصير بأمرك، أبصر بك من نفسك.

يعلم أن المال قد يُطغيك فمنه يحرمك، ويعلم أن العلم يزيدك كبراً فعنه يشغلك، ويعلم أن الزواج يلهيك عن الطاعات فربما أخره. فكم من نفس بسطت لها الدنيا فطغت، وللحقوق نهبت، وكم من عالم ما زاده علمه إلا ضلالاً، وكم من متزوج ما زاده زواجه إلا ضياعًا.

ꕥ ..... ꕥ

هذه طبيعة فينا، إن البشر إذا غنوا طغوا، وإذا أُعطوا تجبروا، وإذا بُسط عليهم بغوا، وإذا فُتح عليهم في الأرض أفسدوا، وإذا وُسع عليهم تكبروا، وإذا من الخيرات رُزقوا على الخلق علوا، وإذا الرحمات من ربهم تنزلت عتوا.

وكما يقال: "خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك".

فقارون كان عابدًا، ولما بُسط له تجبر، ولرزق الله أنكر قائلاً: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي).

**قال تعالى: "أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" [الزمر: ٥٨].**

• إذا كان كل هذا التحسر والألم من أثر رؤية العذاب، فما حالهم عند وقوع العذاب؟ فأي لذة نلتها في الدنيا تزول بعد ثوانٍ وتفنى بعد دقائق، ويبقى لهيبها، فأي لذة مهما بلغ حجمها تستحق أن تُلقى في جهنم؟

• يا رب سلمنا من عذابك.

• ها أنت ذا العمر أمامك مديد، والأيام أمامك كثيرة، فأحسن قبل أن يأتي يوم لا ينفع معه الحسرات، ولا يفيد معه الندم على ما فات. ها أنت ذا ما زالت أنفاسك مستمرة، والروح في جسدك مستعرة، فاستغل هذه الطاقات في الطاعات، ولا تهدر هذه الأوقات في التوافه والموبقات، لأجل ألا يأتي يوم تبكي ندماً، ويتحسر قلبك حينما تعاين العذاب.

• هذه الآية أنسب رد لمن يقول: لا بأس، سأتلذذ بالمعاصي بعض الوقت، ثم لا ضير أن أُعذب بها في جهنم قليلاً، ثم سأخرج وأدخل الجنة! فإذا كانت رؤية العذاب قبل وقوعه عذاب، فما الحال عند وقوع العذاب؟

**هناك بعض الظلم**

تظلم الروح بعدها

تخسر الأمان في الدنيا

تفقد السكينة

تستوحش نفسك

يغادرك الأنس

يجالسك الوجم

ولهذا جعل الله عقوبة الظالم عذابًا أليمًا.

**(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**

إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية لمن يظلم ويبغي الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

**{أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** أي: موجع للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم.

فلك غدًا لقاء مع من ظلمت أمام ربك، فمن نهبته ماله، وسرقت أمانه، وضَيَّعت شبابه، ستحاسب في يوم لن ينفع فيه مال ولا بنون.

**قال تعالى: "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ" الحديد**

يلتاع فؤادُ المرء على محاولاته المضنية، وسعيه الدؤوب في طريق مسدود، وطرقه المستمر على أبواب مغلقة، وتمسكه بحبال دائبة أدمت يداه، وهرولته على حجارة قاسية طمرت قدماه، لكنها سنة الحياة يا صاحبي، وقدر الله المكتوب في اللوح المحفوظ.

فهناك علاقات لا بد أن تُبتر، وهناك أواصر لا بد أن تُقطع، وهناك صلات الخلوص منها رحمة، والانفلات منها نجاة، والهروب منها حياة، والهجرة عنها براح، والانصراف عنها مستراح.

(وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً)، والإرعواء عنها شفاء.

بعض النهايات علينا أن نختمها بسجدة شكر، وبعض الخواتيم علينا أن ننهيها بالحمد.

فالحمد لله على علاقات لو تمت لزهقت أرواحنا، ولضاعت منا نفوسنا، ولطاشت عقولنا، ولانشقت قلوبنا.

**{لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق].**

لا تدري لعل القادم أجمل، لا تدري لعل تلك العقدة المربوطة تُحل، وذلك الفؤاد المكسور يُجبر، لا تدري لعل أجمل أيامك لم تأتِ بعد، لا تدري لعل تلك المصيبة تنفرج من حيث لا تدري، لا تدري فما أخرج يوسف من السجن لم يكن طوفانًا أو عاصفة، أو حتى ملكًا من السماء، بل كان مجرد حلم.

لا تدري لعل الله يُهيئ لك أسباب النجاة الآن وأنت غارق في همومك، لا تدري لعل غيمة الفرح قادمة، لا تدري لعل الله يأذن بزوال أحزانك، لا تدري لعل الله ينجيك بأبسط سبب أو حتى بدون سبب.

**(والصبح إذا تنفس)**

**[التكوير: ١٨].**

افتح نوافذ الأمل في روحك، دع التفاؤل يشرق بين جوانح نفسك، اسمح للمسرات أن تلج لتُعمر صدرك، ودع البسمة ترتسم على صفحات وجهك، واطرد الأحزان بعيدًا عن عالمك، وأزل خيوط اليأس عن قلبك، وامحُ غبار الانهزام من وجدانك.

**(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) [العلق: ١٩].**

ما أحلاه من قول، وما أجملها من عبارة، لو أن حبيبًا أو صديقًا أخبرك: تعالى، ادنُ مني، اقترب من مجلسي، لامتلأ قلبك بالحبور، ولانشرح صدرك، وما وسعتك الدنيا.

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فما بالك والله يقول لك: اقترب، ادنُ مني، تعالى إليَّ، وأقبل عليَّ بقلبك، وازلف إليَّ بروحك، اقرع بابي، ناجني وادعني، أطل سجودك، واخلع عن قلبك دنس الأوزار، وارمِ من نفسك حب الدنيا والتعلق بالتراب، وانفض عن روحك لوعتها للدنيا وآمانها بها.

اقترب هكذا، بدون مصلحة منك، بل مصالحك كلها بيده، وأمانك كله في جواره، وراحتك أنت جلها في قربك منه سبحانه، وهو من هو، هو الغني عنا جميعًا، ونحن من نحن، نحن المحتاجون إلى عفوه، الراغبون في أُنسه.

أبعد سماعك (واسجد واقترب)، تحزن عمن تخلى عنك؟ تبكي من هجرك؟ تأسف على من خذلك؟ تبتئس على من فارقك؟ تلتاع على من ابتعد عنك؟

كلما خسرت إنسانًا أو فقدت صديقًا أو ودعت قريبًا، التمس أنسك في قربك من الله، والتمس عوضك في سجدة تزيدك قربًا، وفي دعاء يزيدك حبورًا.

**يخبرنا القرآن:**

(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)

(وجزاء سيئة سيئة مثلها)

والصبر خير وأفضل، لماذا؟ لأنه في بعض المواضع تأنف نفسك أن تعامل أحدًا بمثل معاملته!

بعض الفعال شنيعة تشمئز منها النفوس وتأباها القلوب، وبعض الصنائع مقززة، ولو عاملت كلًّا بمثل معاملته، لضاقت عليك نفسك، ولاستوحتشها، وعشت غريبًا بين جدران قلبك، ولما استطعت أن تختلي بنفسك.

أتدري لماذا جميع الناس في هذا الزمان يكرهون الخلوة والعزلة، ويلومون من يجلس وحيدًا؟ لأنه من بشاعة أنفسهم لا يطيقون مجالستها، فهذا جزاء (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكًا)، ليس لزامًا أن تكون ضنكًا في الماديات وضيق ذات اليد، بل نفسك ضنك، فلا يطيق خلوة نفسه ثوانٍ، ولا يتحمل مجاورة نفسه دقائق.

كما قال ابن كثير:

"معيشة ضنكًا في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة".

**(وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)**

**(وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى).**

عزاؤك عما فقدت، وصبرك عما بُليت، وعوضك عما ضيعت، سلواك عند حزنك، وبشراك عند كمدك، وراحتك عند تعبك، وأمانك عند نهبك، وتجلدك عند خسارتك.

**{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} [الحجر].**
**{فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [يس: ٧٦].**
**{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ} [الأنعام: ٣٣].**
**(وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) [يونس: ٦٥].**

الفائدة الأولى:

مجرد علم الله لمصاب نبيه مواساة، ليس لمصاب نبيه فحسب، بل لكل إنسان؛ لأن الإنسان أحيانًا تضيق به الدنيا، وتخنقه العبارات، ولا يعلم أحد عنه شيئًا، ولا يدري أخوه مصابه، ويصبح جهل أحبائه بحاله مصابًا أكبر من مصابه، حتى لو نطق لسانه بشكوى، فيلاقي قولًا يُنكر عليه حزنه، ويستهجن عليه مصابه، ويستقبح عليه أسفه.

كان مجرد مزاح، أنت مفرط الحساسية، كبر دماغك، لماذا تبكي؟ أنت هكذا لا تجيد سوى البكاء!

فيزيد همه، ويتفاقم غمه، ويوغل صدره.

هنا تأتي أعظم مواساة، الله العليم، يعلم ضيق صدرك، ويعلم سبب هذا الضيق، يعلم القول الذي أسهرك ليلك، يعلم الفعل الذي حرمك نومك، يعلم الذكريات التي كدرت يومك، عليم بحالك، لا يخفى عليه حزنك وضيقك، الله العليم، يعلم أن القول موجع وإن استهان به من حولك، يعلم أن الكلمات وطأتها أشد من وطأة السكين، وأن لهيب أثرها يخطف النوم من الجفون، الله يعلم أن بعض الناس ألسنتهم كالسيوف، ونظراتهم كالصقور، الله لا يستهزئ بحزنك، ولا يستخف بقلقك، ولا يستصغر خوفك، ولا يحقر من همك.

الفائدة الثانية:

فانتبه إلى كلماتك، وانتقِ أجملها، واختر أعذبها، وتحَرَّ صحتها.

الفائدة الثالثة:

إذا كان القول موجعًا فما بالك بما هو أكبر؟

**قال تعالى: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: ٨٢].**

**قال تعالى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: ٣٩].**

**قال تعالى: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف: ١٦].**

أنت شغل الشيطان الشاغل، وغايتُه الكبرى، وهدفه الأعظم، ألذ أمانيه أن تترك سجدة، أو تترك تسبيحة، أو تدع استغفارًا، أو يراك تضل في متاهات الضلال، لقد أقسم بربه ليغوينك، أن يلبس عليك دينك، أن يزين لك الشهوات، ويغرقك في اللذات، ويحلل لك المحرمات، وأن ينسيك الصلوات، ويبعدك عن الطاعات، ويقربك من الموبقات، فكن حذرًا.

حينما تنتشر الفاحشة وتذاع الخطيئة، وتصبح الطهارة عيباً ويصير النقاء دنيئة، يصدح أهل الفحش وأصحاب الكفر: أن أخرجوا آل النقاء. فحين ننظر إليهم ندرك قذارة فعالنا وبشاعة أعمالنا وإثم صنيعنا.

**(أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)**

**(أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ).**

انفض عن قلبك غبار الأحزان

وأزل عن روحك روعة الأشجان

فالقرآن ينهانا عن الحزن:

**(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا).**

إذا كان الله معك، فمن الذي يحزنك فقده؟

ومن الذي يؤلمك رحيله؟

ومن الذي يوجعك غدره؟

ومن الذي يقلقك فراقه؟

حسبك، إنما هي أيام تمضي، وعمر يمر، وذكرى ترحل، ووجع يُنسى، ثم إلى ربك الرجعى.

**(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)**

**(وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)**

**(وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ).**

أحيانًا المبالغة في نفي التهمة إثبات للتهمة.

**من أكثر الآيات التي تؤنسني في القرآن:**

**{وَلَكِنَّ اللَّهَ يَرَى}.**

الله يرى كل سعي سعينا، وكل طريق تحملنا شوكه.

الله يرى من آذانا وإن أقسم كذبًا، يرى قلبه، يرى عمله، يرى نيته، الله يرى إساءة غيرنا لنا، الله رأى من سرق وهو يسرق، الله يرى ويعلم، ونتيجة لرؤيته وعلمه فسيحاسبهم.

**{وَاللَّهُ شَهِيدٌ}.**

الله شهيد علينا وعليكم، الله شهيد على أفعالكم وإن لم يكن هناك شاهد من البشر، فيكفيني أن الله شهيد علينا.

**{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}.**

لن يضيع سعينا هذا عند الله وإن ضاع عند البشر:

**{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}.**

هناك جرحٌ في القلب لا يشفى:
**(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ)**

وهناك تبلدٌ في المشاعر، وجمودٌ في الفكر:
**(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**

وضعفٌ في الجسد:
**(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)**

ووهنٌ في النفس، وضياعٌ للوجدان:
**(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا)**

وحيرةٌ في الطريق، وتيهٌ في الوجهة:
**(وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)**

ووحدة في العيش: (أنا صاحبك القرآن). "فاهرب بنفسك واستأنس بوحدتها، تبقَ سعيداً إذا ما كنت منفرداً".

وأمنيات لا تتحقق!
**(وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ).**

صبرًا يا قلبي على ما أصابك:
**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا)**

تجلدي يا نفسي على خسرانك:
**(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا).**

احتملي قليلاً، فما بعد الصبر إلا الخير:
**(إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا)**

اصطبري كثيرًا: **(فَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى)**
تزيني بالإيمان: **(مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ)**
وتجملي بالإحسان: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).**
ابشري: **(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ).**

كلما أجزعتكِ مصيبة، اهرعي إلى الصلاة:
**{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}**

وكلما أقلقك شيء، اهربي إلى القرآن:

**{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}.**

وكلما أفزعك شخص، الجئي إلى عالم الدعاء:

**{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}**

**(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).**

وكلما أحزن قلبكِ فقد، بادري إلى الأذكار:

**{أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}**

وكلما أهمكِ أمر، الجئي إلى الاستغفار:

**{فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}**

مع أن **(وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)**

إلا أنه **(قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ).**

أتراه يمنع خليله ما يحب، أو يحرم حبيبه ما يهوى؟

بل رزقه جميل الرزق، وعوضه جميل العوض:

**(فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا).**

لم يهبه فقط الذرية، بل صار أبا الأنبياء. من ذا الذي يصدق أن أبا الأنبياء كان شيخاً كبيراً، وزوجته كانت عاقراً؟!

إنها لمعجزة خالدة، وآية باهرة، وبينة واضحة، جعلت السيدة سارة: **(وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)**

تتعجب من هذه البشرى:

**(قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)**

فجاءها الرد: **(قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ).**

كانت قصة تستحق أن تُسطَّر في آيات تُتلى إلى يوم الدين.

هكذا هي أقدار الله، لا تعرف المستحيل.

مع أن **(إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**

إلا أنه **(قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن، قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي).**

ومع أن السيدة مريم:

**(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**

ورغم هذا لما جاءها الملك:

**(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)**

**(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا).**

ومع أن الله قال لموسى:

**(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)**

إلا أنه لما أمره: **(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)**

قال: **(رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي، إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ).**

ومع أن الله قال: **(لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى)**

يسجل القرآن لحظات ضعف الأنبياء وذهول الصالحين عند تلقي البشارات، وقد كان الله قادراً أن يطويها أو أن ينزعها ابتداءً من الصدور، ولكن ليعلم الإنسان أنه:

**(وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا)**

فلا يغتر بنفسه، ولا يتكبر على غيره، ولا تأخذه العزة بالإثم.

يعطينا القرآن مساحة للبراح، ومسافة للضعف، لا بأس عندما تمر بك مصيبة أن تبكي، ولا ضير عندما ينزل عليك البلاء أن تشكي.

**أتدرون أجمل البيوت؟**

**(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)**

تلك البيوت التي تَقرُ فيها العيون، وتستريح فيها القلوب من نصب الدنيا وتعب الحياة، ونلتمس الأنس في جدرانها، والراحة في أثاثها، والأمان في غرفاتها.

تلك البيوت التي يقل فيها المؤاخذة، ويندر فيها العتب، ويعز فيها النقد:

**(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا).**

تلك البيوت التي تسكن فيها نفس المرء، وتهدأ نبضات قلبه، ويستريح وجدانه، وتأنس فيها روحه، وينطفئ فيها حزنه، ويفر منها قلقه.

تلك البيوت التي يخفت فيها صوت المشاكل، ويعلو فيها صوت الحب.

تلك البيوت التي تملؤها الطمأنينة، وتغشاها السكينة، وتغمرها الألفة، ويطمرها اللطف، ويفعمها الطيب.

تلك البيوت التي لا يشعر فيها الإنسان بوحشة، أو تعتريه فيها غربة.

**(وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)**

تلك البيوت التي يُتلى فيها القرآن، ويتدارس فيها آياته، وتمتلئ فيها القلوب بتدبره، وتعج الكتب في أركانها، وتضح الحكمة جلية في جوانبها.

(اجْعَلُوا مِن صَلاتِكُمْ في بُيُوتِكُمْ، ولا تَتَّخِذُوها قُبُورًا).

ذلك البيت الذي ينضح بالحياة بإقامة الصلوات فيه، وله قلب ينبض بالدعاء في أركانه، وروح تسري بالقيام في غرفاته، وحياة تجري بالذكر في جدرانه.

**(وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ).**

تلك البيوت التي فراشها اللين، وأغطيتها المودة، وأثاثها الرحمة، وغرفاتها الأمان،

تلك البيوت التي يغفو فيها المرء مطمئنًّا، ويصبح فيها آمنًا، ويمسي فيها هانئًا.

**هناك في محكمة رب العباد**

**(لا ظلم اليوم)**

لن تُظلم ولو قيد أنملة، ومن آذاك ولو بنظرة سيحاسب

**(وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا).**

ومن تعمّد إيذاءك واستفزازك وإخراجك عن شعورك، والله سيحاسب.

ومن أصر على تحطيمك وتهشيمك وإيذائك في أبنائك، والله سيحاسب.

من انتهك خصوصيتك بغير وجه حق، من تعمد إغاظتك، والله سيحاسب.

ومن سحرك، والله، والله سيحاسب، الساحر ومن سعى إليه.

**هناك في محكمة رب العباد**

لن تنتظر طويلًا، ولن تؤجّل قضيتك، لأن

**(اللَّه سريع الحساب)**

ستُحسم كل القضايا المؤجلة، وتنهى كل الأحكام المستأنفة.

هناك في محكمة رب العباد

من اجتمعوا عليك في الدنيا لإيذائك، غدًا سيتبرأون من بعضهم البعض،

**(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ)**

سيفرون منه فرار الغزال من الأسد.

**هناك في محكمة رب العباد**

المال الذي سُرق، والحق الذي نُهب سيرده إلى صاحبه من حسناته.

بل سيتمنى لو أن له ما في الأرض جميعًا ليفتدي فقط من عذاب يوم القيامة

**(بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ).**

بئس البيع الذي تبيع فيه الجنة بدار معدودة في الدنيا، لا يستقيم هناءه فيها.

فمن ظن أنه قد فاز وانتصر في الدنيا بأكل حق غيره، ونهب مال غيره، وسرقة قوت غيره، فعليه الويلات يوم القيامة.

فالبعض يسرق ليس لأنهم محتاجون، بل بخلًا وشحًّا، وليقهروا من سرقوه.

ولكن، أليس هناك يوم القيامة؟

فالقهرة العظمى، والحسرة الكبرى على من عُذّب في نار جهنم، وحُرم من الجنة.

**(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).**

**(قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ).**

بين جميل الصفات:

*هل يستوي عند ربك العالم العابد الخاشع، بالنمّام الكذاب المضيع وقته، المستهتر بفرضه، الهاجر قرآنه، الناسي لأذكاره؟

(أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ، كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)؟

*هل يستوي الصادق بمن يحلف كذبًا؟

قال الرسول: (وإنَّ الكَذِبَ فُجُورٌ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَحَرَّى الكَذِبَ، حتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا).

وقال الرسول: (الكَبائِرُ: الإشْراكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ).

*هل تستوي من تحفظ نفسها من أعين الرجال، بمن تتودد لرجل ليس بزوجها؟

(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ، فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ).

القرار في البيت:

هل تستوي من تأنس ببيتها وهي محتسبة كل دقيقة لربها بين محرابها وصلواتها، تنتظر كل أذان بشوق ليهرع قلبها إلى الصلاة؟

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ)

بمن تجلس في الشارع تقتات على سير الناس، وتؤخر الصلوات أو لا تصلي أصلًا؟

(اجْعَلُوا مِن صَلاتِكُمْ في بُيُوتِكُمْ، ولا تَتَّخِذُوها قُبُورًا).

*هل تستوي من تزين بيتها بتلاوتها القرآن؟

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)

بمن لا تحفظ آية، ولا تسعى أصلًا لحفظ آية الطلاق؟

*هل يستوي عند الله الزوج الذي إذا استحالت العشرة طلق وأعطى للزوجة حقوقها، بمن تركها؟

(فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ)؟

(وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا، وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ).

*هل يستوي من طلق زوجته وأعطاها كامل حقوقها، بمن احتال ليأخذ حقوق زوجته؟

(وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ، حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ).

*هل يستوي من طلق زوجته ولكنه لم يطلق أبناءه، بمن طلق أبناءه قبل زوجته وحرمهم نفقتهم؟

(كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت).

عندما تلج إلى الصلاة، تبدأ: الله أكبر

حينها أغلق نوافذ روحك عن مشاغل الحياة.

وانفض من عينيك صور الماضي وذكريات السوء.

وأوصد مداخل الشيطان عن التفكير بما فات.

وأسقط عن نفسك توافه الأمور.

وأخرج من قلبك أية ذرة كبر أو نقطة شرك.

وحرم على نفسك الحزن.

وأوجب على قلبك الخشوع.

عندما تركع، فليركع قلبك قبل جسدك، وأطل سجودك، وهب أن سيئاتك تتساقط من ظهرك عند انحنائك.

(وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ).

وعندما تسجد، فلتسجد روحك قبل جوارحك، وهب أنك تسمع ربك يخاطبك.

(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب).

أحمل قلبي على العفو فيعجز

وأُجبر نفسي على التسامح فتفشل

أخاطب روحي بكل آيات العفو

**(وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم)**

**(فمن عفا وأصلح فأجره على الله)**

**(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)**

**(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين)**

فلا أقدر، لأن بعضهم ليسوا أهلًا للعفو، ولا يستحقون الغفران. فالإصرار على الصغيرة كبيرة، والإصرار على الأذى خطيئة لا تُغتفر، وتعمد الأذية دنيئة.

فمن أصر على إيذائك، فعفوك عنه جنون، ومسامحتك له قلة عقل... لماذا؟

لأنهم لن يتغيروا، وسيصبحون أسوأ، وسينهدم ما يستطيعون، ويحرقون ما يقدرون، ويدمرون ما يملكون، وينهبون ما يمسكون.

بعض النفوس، العفو عنها مضرة.

**هل معنى الصبر أنك تنال ما تبغي؟**

سيدنا نوح، أطول الأنبياء عمرًا، ودعوة إلى قومه، وصبرًا على أذاهم.

**(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)**

ورغم ذلك، **(وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ).**

سيدنا موسى، جاء ببيّنات ومعجزات، ومن أكثر الرسل إتيانًا بالمعجزات.

**(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ)**

وبعد كل هذه المعجزات والخوارق للعادات، هل آمن فرعون؟ أم اهتدى؟ أم تفكر واعتبر وانتهى واتعظ؟... لا،

**(فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى).**

بل ظلم فرعون وكفر بآيات ربه، مدعيًا الألوهية، قائلًا:

**(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ).**

وزاد تكبرًا وعنادًا وتباهيًا بنعم الله عليه.

**(أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ، وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي).**

أهذه الأنهار أنت أجريتها؟ أم خلقتها؟ أم جعلتها عذبة تروي العطشى؟

فسحقًا لك، وغرقًا لك جزاءً على ادعائك الكاذب، وتحديك الفارغ، ورعونتك الفارغة، وزهوك الباطل، تستحق أشد التنكيل وأعظم العذاب.

**(فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ، وَمَا هَدَى).**

ورغم الجهد الذي بذله سيدنا موسى، والصبر الذي صبره، إلا أنه:

**(وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ).**

وسيدنا محمد، رغم أنه جاء بالبيّنات الواضحة، وتحداهم القرآن صراحة أن يأتوا بآية واحدة فقط مثل القرآن، وهم أهل فصاحة وبيان، قائلًا:

**(إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)**

ورغم عجزهم كفروا، ولهذا استحق المعاند أن يكون وقودًا لجهنم.

بل إن هناك أنبياء يوم القيامة يُبعثون ولم يؤمن معهم أحد أصلًا.

إذًا الخلاصة:

لا تحزن على جهدك، ولا تبكِ على سعيك، ولا تبتئس على صبرك، إن لم تحقق مرادك، ولم تصل إلى مبتغاك.

فالعبرة ليست بالوصول، ولكن العبرة بالسعي والكد والجد.

الله لم يجبرنا على الإيمان به، فقال تعالى:

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا)

وقال لنبيه: (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)؟!

إنما أراد الله أن من يؤمن يهوي بقلبه، ويختار دين الإسلام طواعية، ويلج بقلبه إلى محاريب العبادة.

العجيب أن بعض البشر يجبرونك على مودتهم، ويغصبونك على صحبتهم، والأعجب من يفرضون عليك كيف تعيش، وكيف تأكل، وكيف تلبس، وماذا تطعم أبناءك؟!

مدّعين أنهم على صواب!